مانيلا

محمود سالم

مانيلا

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

مانيلا

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٨ ٢٦٧٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٥.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
«كوان يو»!	١١
الصبي بائع الزهور!	١٥
لم تكن مصادفة!	١٩
«لانو» ينصب الفخ!	٢٥
«مامبا»!	٢٩
في الوقت المناسب!	٣٣
سجين الغرفة الحديدية!	٣٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

«كوان يو»!

لمعت اللمبة الحمراء في تليفون «أحمد»، وعرف على الفور أن رقم «صفر» سوف يتحدث إليه ... وعرف أيضًا أن مهمة عاجلة في انتظاره.

رفع سماعة التليفون وسمع على الفور صوت رقم «صفر» العميق يتحدث: «أحمد»، استعد للسفر خلال ساعتين ... خذ معك «عثمان» و«رشيد» فقط، فالمهمة تحتاج إلى كتمان شديد!

أحمد: سأكون جاهزًا يا سيدي!

رقم «صفر»: إنك لم تقابل «كوان يو» من قبل، وستصلك صورته، ومعلومات كاملة عنه بعد لحظات؛ ادرسها جيدًا!

أحمد: سأفعل ذلك يا سيدي!

رقم «صفر»: إن «كوان يو» كان من أبرز عملائي في العالم كله، وإن كانت حدود عملياته في الشرق الأقصى، وكان مقره «مانيلا» ... لقد اختفى «كوان يو» منذ خمسة أيام ... وجميع الإشارات التي أرسلت إلى مكانه لم نتلقَّ عليها ردًّا ...

وصمت رقم «صفر» لحظات، ثم مضى يقول: إن العثور على «كوان يو» حيًّا أو ميتًا مسألة شديدة الأهمية بالنسبة لنا جميعًا، فإذا كان قد وقع في يد منظمة معادية، أو جهاز من أجهزة المخابرات المعادية، فإن جزءًا كبيرًا من أسرار منظمة الشياطين الـ «١٣» سيكون بين أيدي الأعداء!

أحمد: إن ذلك شيء خطير حقًّا يا سيدي!

رقم «صفر»: بالإضافة إلى أن «كوان يو» كان عميلًا ناجحًا وذكيًّا، وقد قدَّم للمنظمة كثيرًا من الخدمات!

أحمد: سنفعل المستحيل يا سيدي!

رقم «صفر»: إنني واثق من ذلك ... وعندما يصلك الملف، وتقوم بدراسته، اتصل بي قبل سفرك.

أحمد: سأفعل ذلك يا سيدي.

انتهت المكالمة، ودق الباب، ودخل أحد العاملين في المقر السري للشياطين الـ ١٣، ووضع أمام «أحمد» ملفًّا أخضر اللون، عليه شريط أحمر وخرج.

فتح «أحمد» الملف فورًا، وانهمك في القراءة بعد أن ألقى نظرة على صورة «كوان يو» الموضوعة في زاوية من الملف ...

الملف: ش/ق/ص/

الموضوع: اختفاء «كوان يو».

«كوان يو»: عميل لمنظمة الشياطين الـ «١٣» منذ إنشائها ... وكان ضابطًا في الجيش الفيتنامي، ثم انضم للمنظمة بعد أن اقتنع بأهدافها في محاربة الظلم، وإقامة العدالة، وقد استطاع في مجموعة من العمليات الناجحة أن يؤكد زعامة المنظمة في المنطقة، وقد حصل على أسرار مذهلة عن عصابات الأفيون، وتجارة الأسلحة في المنطقة.

المهارات: ماهر في استخدام جميع أنواع الأسلحة، وخبير في سموم الغابات، ويُعتَبر أستاذًا يحمل الحزام الأسود في الكاراتيه.

وفجأة أُضيئَت اللمبة الحمراء مرة أخرى في غرفة «أحمد»، وكان المتحدث هو رقم «صفر»، وكان حديثه عبارة عن جُمل سريعة بها مفاجآت وأحداث جديدة.

قال رقم «صفر»: وصلنا تيلكس بالشفرة من أحد عملائنا في «مانيلا» يقول إنهم عثروا على جثة «كوان يو» قتيلًا وغريقًا في أحد الأنهار قرب قرية «باتنجاس» ... سافروا فورًا إلى هناك، أريد منكم حضور جنازة «كوان يو»؛ فعادةً ما يحضر الجنازة أحد القتلة ليعرف مَن سيحضر الجنازة.

أحمد: متى الجنازة يا سيدي؟

رقم «صفر»: إنه لن يُدفن قبل تشريح الجثة وتحقيقات النيابة، معنى ذلك أنه قد يُدفن بعد يومين أو ثلاثة ... عندما تصلون إلى «مانيلا» اذهبوا إلى مقهى «المحيط» ... وتحدثوا مع نادل المقهى «ليو» ... إنه الوحيد الذي كان موضع أسرار «كوان يو» ... ستحصلون على المعلومات اللازمة.

وصمت رقم «صفر» قليلًا ثم قال: إن الصراع في الأحراش يختلف عن الصراع في المدن ... خذوا بعض الخناجر ولا تنسوا الاطلاع على صورة «ليو».

قام «أحمد» بالاتصال فورًا بقسم التجهيزات في المقر السري، طلب مجموعة من الأسلحة الخفيفة ... بعض الخناجر الطويلة ... وقال مدير التجهيزات: عندي مدفع رشاش حديث جدًّا ... إنه صغير ويمكن أن يُفك إلى قطعتين ... وهو في نفس الوقت مدفع رشاش صامت.

اهتم «أحمد» بهذه المعلومات وقال: هل عندكم كمية منه؟

مدير التجهيزات: ثلاثة عشر حتى الآن!

أحمد: أريد ثلاثة فقط مع بقية الأسلحة!

واتصل «أحمد» بـ «عثمان» و«رشيد» وطلب أن يقابلاه فورًا في قاعة الاجتماعات الصغيرة ... واتصل بقاعة الاجتماعات وطلب تجهيز خريطة مضاءة للفلبين.

بعد دقائق كان «أحمد» يجلس مع زميليه، وقد أُضيئَت أمامهم خريطة للفلبين تدارسوا عليها الموقع ... والموقف ... وشرح لهم «أحمد» مهمتهم المقبلة ... وقال: إن «كوان يو» كان يعرف أسرار منظمة الشياطين الـ «١٣» في جنوب شرقي آسيا ... وهي المنطقة الممتدة من شرق الهند حتى الفلبين.

كان «رشيد» و«عثمان» ينصتان باهتمام شديد ... ثم قال «عثمان»: متى نبدأ؟

أحمد: لقد بدأنا فعلًا، وطلبت من قسم التجهيزات إعداد مجموعة جديدة من الأسلحة؛ وقد قال لي مدير التجهيزات إن عندهم مدفعًا رشاشًا صغيرًا كاتمًا للصوت.

عثمان: شيءٌ حديثٌ جدًّا؟

أحمد: لقد طلبت منه ثلاثة ... بالإضافة إلى بنادق مُركَّب عليها تلسكوب بعيد المدى ينفع في حرب الغابات، وخناجر طويلة كتعليمات رقم «صفر».

عثمان: ومن أين سنبدأ؟

أحمد: سنبدأ من مقهى «المحيط» ... فهناك نادل — أي جرسون — يُدعى «ليو» ... ثم نحضر جنازة «كوان»، فربما تكون المنظمة المعادية قد أرسلت مَن يريد أن يتعرف على المقربين.

عثمان: إنها مغامرة شيقة!

أحمد: ولكنها خطرة!

رشيد: كيف تبدأ الرحلة؟

أحمد: بالطائرة إلى البحرين، حيث نركب الطائرة الكونكورد الأسرع من الصوت إلى «مانيلا»؟

رشيد: هل قمت بطلب الحجز؟

أحمد: سأترك لك مهمة ترتيب نظام الرحلة، وعلى «عثمان» دراسة الخرائط، وسأقوم أنا بعمل تقدير للموقف.

عثمان: متى نلتقي؟

أحمد: عندما نتلقى التعليمات من «رشيد».

وانصرف الثلاثة كلٌّ منهم إلى غرفته، وقد امتلأ بحماسة المغامرة ... فالقصة مشوقة من بدايتها والعثور على قتلة «كوان» مسألة لا تقبل المناقشة ... والشياطين لا يعرفون الهزيمة ...

الصبي بائع الزهور!

كانت الطائرة الكونكورد التي تقف في مطار البحرين الدولي، أصغر من الطائرات البوينج ٧٤٧ العملاقة ... ولكن الميزة التي تتوفر في الكونكورد أنها أسرع من الصوت، فهي تقطع المسافة أسرع من الجامبو بنسبة الضعف ... ولهذا اختارها الشياطين للسفر إلى «مانيلا» ...

وفي الموعد المحدد كانت الطائرة القوية تغادر المطار، وقد ارتفع صوتها عاليًا، ثم طارت في الجو ... كانت المقاعد ضيقة بالنسبة للطائرات العادية، ولكن السرعة كانت رائعة. وأكثر الطائرات العادية ترتفع إلى ما بين ٢٨ إلى ٣٥ ألف قدم فوق سطح البحر ... أما الكونكورد فترتفع إلى ٦٥ ألف قدم.

جلس الشياطين الثلاثة يفكرون في المغامرة القادمة ... ومرت الساعات، ثم أعلن كابتن الطائرة عن قرب هبوطها في مطار «مانيلا» ...

استعد الشياطين كبقية الركاب ... ثم نزلت الطائرة على أرض المطار ... لم يكن في انتظارهم أحد ... فاستقلوا تاكسيًا، وطلبوا من السائق أن يذهب بهم إلى أقرب فندق من مقهى «المحيط».

فقال السائق: إن مقهى المحيط «أوشن» يقع تحت فندق المحيط!

كانت مفاجأة لا بأس بها للشياطين، فطلبوا منه التوجُّه إلى هناك.

ولم تكن هناك مشكلة في حجز الأمكنة اللازمة ... وكان فندق المحيط فندقًا متوسط الحجم على الطراز القديم، وتحته كانت تلمع أضواء مقهى المحيط الملونة ...

لم يضيِّع الشياطين وقتًا ... وضعوا حقائبهم ... وارتاحوا لحظات بعد أن اغتسلوا، ثم نزلوا إلى المقهى ... عندما دخلوا، لم يُفاجَئوا بالموسيقى العالية، والصخب الذي كان يسود المكان ... فهم يعرفون أن أمثال هذه المقاهي يتردد عليها صعاليك «مانيلا» عاصمة الفلبين ... وأهم وأكثر المدن ازدحامًا بها ... لم يكن هناك موضع لقدم ...

وأخذ الشياطين يشقون طريقهم بين الزحام والموسيقى ... وهم يتلفتون حولهم للبحث عن «ليو» حسب الصورة التي شاهدوها قبل مغادرة المقر السري ... ولكن وجه «ليو» لم يظهر خلال الزحام، خاصة وأن سكان هذه المناطق في جنوب شرقي آسيا يتشابهون.

وشاهد «أحمد» بين الوجوه وجه صبي صغير باسم ... يشق طريقه وهو يحمل كمية من عقود الزهور يحاول بيعها للزبائن ... ولكنَّ أحدًا لم يلتفت إليه ... وكان «أحمد» يعرف بخبرته أن أمثال هذا الصبي الذين يترددون على المقاهي يعرفون الكثير عن روادها.

وهكذا اتجه إليه بعد أن طلب من «رشيد» و«عثمان» أن يبقيا بجوار كابينة التليفون، وبعد محاولات استطاع أن يصل إلى الولد ... ومد يده يطلب شراء بعض الزهور. وابتسم الولد مزهوًّا وهو يقول: إنك ستسعد كثيرًا كثيرًا يا سيدي ... إن مَن يشتري زهورًا من «أوزي» يصيبه الحظ.

ابتسم «أحمد» لذكاء الصبي وقال: اسمك «أوزي»؟

ردَّ الولد بابتسامة واسعة: نعم يا سيدي ... إذا شئت شقة مفروشة، أو استئجار سيارة، أو الذهاب إلى أي مكان، فإن «أوزي» يمكن أن يساعدك!

أحمد: إن «أوزي» في لغتنا الشعبية تعني الخروف الصغير!

ضحك «أوزي» وقال: لولا الذبح ... لأحببت أن أكون خروفًا.

وضع «أحمد» في يد «أوزي» مبلغًا طيبًا، وأخذ عقدًا من الزهور البيضاء وقال: إنني أريد مساعدتك يا «أوزي»!

رد أوزي: إنني في خدمتك يا سيدي.

أحمد: وسأثق بأنك لن تتحدث مع أحد عن المعلومات التي أطلبها منك!

أوزي: ثق بي يا سيدي ... لقد كنت كريمًا معي، وسأكون مخلصًا لك.

أحمد: هل تعرف شخصًا يعمل هنا اسمه «ليو»؟

رد «أوزي» على الفور: «ليو» ... إنه صديقي يا سيدي، وكثيرًا ما قدم لي الطعام، وقدمت له بعض المعلومات.

أحمد: إذن فنحن أصدقاء ... فأنا صديق «ليو» أيضًا.

أوزي: مرحبًا بك يا سيدي ... وأنا رهن إشارتك!

أحمد: أين «ليو»؟ إنني أبحث عنه!

أوزي: لقد اختفى منذ يومين يا سيدي، وقد سألت عنه زملاءه فقالوا لي إنه في إجازة، وقد غادر «مانيلا» إلى بلدته.

أحمد: وأين هذه البلدة؟

أوزي: لا أعرف يا سيدي ... ولكن من الممكن السؤال!

وسط ضجيج الموسيقى أحس «أحمد» بأنه حائر ... لقد اختفى «ليو» الذي كان بداية الخيط ... ولم يعد أمامهم إلَّا السفر إلى «باتنجاس»، حيث قُتل «كوان يو» ...

ولكن قبل أن ينطق بحرف آخر ... ارتفع ضجيج مشاجرة ... ونظر «أحمد» إلى حيث وقعت المشاجرة، فشاهد شابًّا رفيعًا يحاول الهرب، يتبعه رجلان تبدو عليهما الشراسة ... واتجه الشاب إلى باب المقهى، ولكن ظهر رجل ثالث عند الباب، ووجه للشاب ضربة قوية أطاحت به أرضًا ... واشتدَّ الضجيج، وأخذ بعض الزبائن يحاولون الخروج ... بينما حاول الشاب القيام والهرب ... ولكن الرجال الثلاثة أحاطوا به ... وكان واضحًا أنهم قادرون على الفتك به في ثوانٍ قليلة ... ولم يتدخل أحد لإنقاذ الشاب ... ووجد «أحمد» نفسه مندفعًا إلى حيث وقع الشاب محاولًا النهوض، وصاح بالرجال الثلاثة: قفوا ... ماذا فعل؟

ردَّ أحد الرجال بصوت غليظ: هذا ليس من شأنك ... ابتعد وإلَّا ...

ثم وجَّه إلى «أحمد» ضربة قوية بكل قوته ... ولكن «أحمد» مال برأسه جانبًا، فطاشت الضربة ثم ضربه «أحمد» ضربة قوية جعلت الرجل يترنح، ثم مدَّ «أحمد» قدمه في طريقه، فسقط على الأرض ... ووقف «أحمد» أمام الشاب النحيف يحميه، واندفع الرجلان الآخران ناحية «أحمد»، ولكن قبل أن يقتربا منه، شاهد الحاضرون لدهشتهم الشديدة شابين يتقدمان بسرعة، ثم يهاجمان الرجلين، لم يكن الشابان إلا «عثمان» و«رشيد» وطارت المقاعد وتحطم الزجاج ... وعمَّت الفوضى المكان ...

ارتفعت صفارة البوليس ... وأمسك الشاب النحيف بذراع «أحمد» وصاح: هيَّا نهرب!

ودفع «أحمد» إلى باب جانبي، خرجا منه إلى دهليز طويل يؤدي إلى جراج ... وكان الشاب يجري كالمجنون، و«أحمد» خلفه ... وهو يفكر في «عثمان» و«رشيد» ... ويتمنى ألا يقعا في أيدي البوليس ... فهم لا يريدون أي شيء يعطلهم عن مهمتهم ...

وتوقف الشاب أمام سيارة صفراء من طراز «مازدا» أدار محركها، وقفز «أحمد» بجواره، ثم قادها ببراعة عبر الجراج المزدحم إلى الخارج ...

عندما وصلا إلى أول الشارع، شاهدوا «عثمان» و«رشيد» والولد الصغير «أوزي» يجرون في اتجاه البحر ... صاح «أحمد» بالشاب طالبًا منه اللحاق بالثلاثة ...

أسرع الشاب إلى حيث كان «رشيد» و«عثمان» و«أوزي» يجرون بسرعة ... وأطلق بوق سيارته فتوقفوا ونظروا إليهم، وسرعان ما اتجهوا إلى السيارة عندما شاهدوا «أحمد» يشير إليهم.

ازدحمت «المازدا» الصغيرة بالخمسة، ولكنها انطلقت تجري عبر شوارع «مانيلا» المزدحمة حتى وصلت إلى الميناء، ثم قادها الشاب بهدوءٍ إلى مكانٍ منعزلٍ ... يبدو كأحد مباني الميناء المهجورة.

لم تكن مصادفة!

توقفت السيارة تمامًا عند بوابة قديمة ... ونزل الخمسة ثم اتجهوا يسارًا إلى مكان مهجور له بضعة سلالم تؤدي إلى البحر ... وتوقف «أحمد» يسأل: إلى أين نذهب؟

قال الشاب: إنني أريد أن تختفوا عن أعين هؤلاء الرجال، إنهم لن يتورعوا عن قتلكم!

أحمد: إنني لا أعرف مَن أنت؟! ولماذا حاول هؤلاء الرجال ضربك؟!

الشاب: إنها قصة طويلة ... ستعرف كل شيء بعد لحظات.

ونزلوا جميعًا السلالم إلى «لنش» مطفأ الأنوار ... وعندما وصلوا إلى السلم، أطلق الشاب صيحة تشبه عويل الذئب ... ومن طرف القارب ارتفع عويل آخر ... ثم سمعوا صوت أقدام ... وأُضيء نور في مؤخرة القارب ... ولدهشة «أحمد» الشديدة سمع الشاب يقول: «ليو»!

وأصابت الدهشة «عثمان» و«رشيد»، فقد تساءل الثلاثة إذا كان «ليو» هذا ... هو نفس الرجل الذي جاءوا لمقابلته.

وسأل «أحمد» الشاب وهم يدخلون: هل «ليو» هو ...؟

ولكن قبل أن يكمل سؤاله ظهر الوجه الذي شاهدوا صوره في مقر الشياطين ... وأصاب الثلاثة شبه ذهول ... ولكن «ليو» تقدم وهو يحمل مسدسًا ضخمًا، وبعد أن تأمل «أحمد» لحظات، قال: هل الأرقام من ١ إلى ١٣ صحيحة؟ ... وهي جملة كودية لا يعرفها إلا عملاء رقم «صفر» ...

ورد «أحمد» على الفور: إن «صفر» يسبق رقم واحد!

قال «ليو»: مرحبًا بالأصدقاء.

أشار «ليو» إلى الشاب وقال: إنه «دانج» ... وهو من أكثر رجالي إخلاصًا!

ثم أشار إلى الولد الصغير وقال: وهذا أيضًا.

قال «أحمد»: «أوزي»!

ليو: هل عثر عليك؟

أحمد: إنني أنا الذي عثرت عليه ...

أشار «ليو» إلى «دانج» وقال: ابتعد بالقارب ... إن هناك حديثًا طويلًا.

أسرع «دانج» يدير محرك القارب ... وسرعان ما كان القارب يجري في المحيط، وكان الموج عاليًا، وبركان «مونت مايون» يبدو في الأفق، وقد اشتعلت رأسه بالنار ... ودارت أكواب الشاي، وقطع البسكويت ...

وقال «أحمد»: هل علمت أن «كوان يو» قُتل؟

رد «ليو»: بالطبع ... إن «كوان» كان رجلًا هامًّا في هذا العالم ... ولكن أحدًا لم يكن يعرف عنه شيئًا ... لقد كان رجلًا مخلصًا لعمله معكم، لهذا كان يختفي عن الأنظار، وكان يعيش متنقلًا من مكان إلى آخر ... ومن جزيرة إلى جزيرة ... ولا أدري حتى الآن كيف استطاعوا اصطياده؟!

أحمد: مَن هم؟

ليو: في الفترة الأخيرة من عملنا في «المثلث الذهبي» الذي ينتج أكبر كمية من الأفيون في العالم، كانت هناك عصابة وسيطة مقرها مدينة «زامبونجا» في الجنوب ... وقد استطاع «ليو» ومجموعة من رجالنا أن يحطِّموا هذه العصابة التي كانت تسمي نفسها «التاجالوجا» وهو اسم إحدى اللغات القديمة في بلادنا ...

وصمت «ليو» قليلًا ثم قال: لقد كانت عصابة «التاجالوجا» هذه تقوم بتسويق نصف إنتاج المخدرات تقريبًا في المنطقة ... وتملك أسطولًا ضخمًا من القوارب ... والسيارات ... والطائرات أيضًا ... وكانت تعليمات منظمتكم هي أن نسعى إلى جمع أكبر كمية من المعلومات عن «التاجالوجا» ولكن «كوان يو» تجاوز التعليمات واشتبك مع العصابة في صراع مميت، وقد استطعنا في الشهور الأخيرة ... أن نكشف هذه العصابة للسلطات الفلبينية، وقد قبضوا على عدد كبير من أعضائها ولكن ...

ورشف «ليو» رشفة كبيرة من قدحه ثم مضى يقول: ولكن بعض رجال البوليس تعاونوا مع العصابة، وكشفوا لها عن مصدر المعلومات التي وصلتهم ... وعرفت العصابة على الفور أن «كوان يو» هو المسئول عن الإيقاع بهم ... وقد تعرضنا لغارات وحشية من العصابة ... ولكننا استطعنا أن نصمد لها ... ولكن «كوان يو» اختفى فجأة ... واضطررت للهرب بعد أن أعلنت في المقهى أنني ذاهب إلى زيارة أسرتي!

أحمد: ولكن ... لقد كانت مصادفة أن ندخل المقهى، وأن نلتقي مع «دانج» في تلك المشاجرة!

ليو: ليست هناك مصادفات ... لقد أرسلت «أوزي» و«دانج» للبحث عنكم.

أحمد: ولكن كيف عرفت بحضورنا ... هل لك اتصال بالمقر السري؟

ليو: أبدًا ... ولكن عندما اختفى «كوان يو» تأكدت أنكم ستعلمون هناك في المقر السري (ش. ك. س)، وكان عملاء رقم «صفر» يأتون دائمًا إلى فندق المحيط ليقابلوني في المقهى الذي يقع تحت الفندق، لذا توقعت أنه سيرسل بعض أعوانه للبحث عن «كوان يو» ... فطلبت من أحد زملائي هناك أن يستعلم عن وصول أشخاص غرباء إلى الفندق ويبلغني ... وعندما وصلتم وسجلتم أسماءكم في الفندق اتصل بي هذا الصديق وأبلغني ... وهكذا أرسلت لكم «أوزي» و«دانج».

أحمد: لقد تصرفت بحكمة وذكاء!

ابتسم «ليو» في خجل، ثم عاد وجهه يتجهم وهو يقول: ما هي التعليمات التي عندكم بخصوص مقتل «كوان»؟

أحمد: أن نعرف كَمَّ المعلومات التي حصلت عليها العصابة من «كوان»، وهل اعترف بالرموز والاتصالات التي تمت بينه وبين رقم «صفر» ... وهل عندهم معلومات عن منظمتنا ونوع العمل الذي تقوم به؟ إن حصولهم على أية معلومات عنا مسألة خطيرة كما تعرف!

فكر «ليو» لحظات ثم قال: إن «كوان» ليس الرجل الذي يفشي أسرار المنظمة ... ولكن عصابة «التاجالوجا» عصابة متوحشة ... إنهم يعملون في تجارة المخدرات، وهي تدر عليهم أرباحًا هائلة ... ولعلهم انتزعوا منه بعض الاعترافات!

أحمد: وهل تعرف العصابة طبيعة الاتصالات بينك وبين «كوان»؟

ليو: لم يكونوا يعرفون الكثير عني، فقد كان «كوان» يأتي إلى المقهى كأي زبون آخر ... وعلى فترات متباعدة، وكان يعطيني التعليمات التي يريد تنفيذها، أو طلب المعلومات التي تهمه ... ثم يأتي بعد فترة، فأقدِّم له الشاي، ومعه المعلومات المطلوبة على ظهر الفاتورة؛ ولكن عندما عرفت العصابة أن «كوان» هو الذي قدم المعلومات للبوليس فقد راقبوه طويلًا ... ولعلهم في النهاية اكتشفوا الصلة التي بيني وبينه!

أحمد: وبماذا تنصح؟! إن التعليمات أن نذهب إلى «باتنجاس» لنشهد الجنازة، ونتعرف هناك على أفراد العصابة.

فكَّر «ليو» قليلًا ثم قال: إننا نستطيع أن نصل إلى «باتنجاس» بهذا اللنش.

ثم عاد يقول: ولكنني أعرف بعض أفراد هذه العصابة، إن زعيمهم فقط هو الذي لا يعرفه أحد، ويُقال إنه يعيش متنقلًا في الجنوب بين الجزر المنتشرة هناك ... خاصة في مدينتَي «زامبونجا» و«دافاو».

نام كل مَن في اللنش عدا «أحمد» و«ليو»، وكان «ليو» يقود اللنش ببراعة بين الجزر الكثيرة المنتشرة في الطريق البحري بين «مانيلا» و«باتنجاس» ... وكان «أحمد» يتحدث معه فيما سيفعلونه عندما يصلون «باتنجاس» ...

أحمد: إنك يجب ألا تظهر عند المقبرة ... فالعصابة تعرفك.

ليو: هذا صحيح ... ولكنني يجب أن أكون قريبًا منكم، فأنتم لا تعرفون البلاد!

أحمد: ولكن ماذا كشفت تحقيقات البوليس في مصرع «كوان يو»؟

ليو: لم ينشر عن هذا إلا القليل، فقد وجدوا «كوان» غريقًا في النهر، وقد تشوهت ملامحه تمامًا، وعرفوا شخصيته عن طريق الأوراق التي وُجدَت معه.

استسلم «أحمد» إلى تفكير طويل ثم قال: هل كنت تعرف مقر «كوان» في «باتنجاس»؟!

ليو: ولا أعتقد أن هناك مَن يعرفه غيري، وقد كان عادةً لا يقول لأحد أين يعيش، ولكن عندما اشتدت حدة المعارك، أعطاني العنوان ورقم التليفون.

أحمد: متى نصل «باتنجاس»؟

ليو: قرب الفجر.

أحمد: سنذهب إلى مقر «كوان» لعلنا نستطيع العثور على شيء يكشف سر مصرعه.

استسلم «أحمد» للنوم على أن يقوم «دانج» بقيادة اللنش بعد ذلك.

عندما استيقظ الشياطين الثلاثة، كان الظلام مخيمًا على المحيط، وأضواء «باتنجاس» تلمع عن قرب ... وشرح «أحمد» لـ «رشيد» و«عثمان» حديثه مع «ليو» وقراره بالذهاب معه إلى مقر «كوان» ... وطلب منهما انتظاره مع «أوزي» و«دانج» لحين عودته ...

اختار «ليو» مكانًا مهجورًا على الشاطئ رسا عنده باللنش، وقفز هو و«أحمد» إلى الشاطئ وأسرعا تحت جنح الظلام الذي بدأ ينقشع ...

قال «ليو»: المسكن قريب؛ لهذا اخترت هذا المكان!

بعد مسيرة ربع ساعة، وصلا إلى شارع رئيسي، كان ساكنًا في هذه الساعة المبكرة ... ثم انحرفا إلى الشارع الجانبي، وقال «ليو»: شيء غريب ... إن شقة «كوان» مُضاءة!

وأشار بإصبعه إلى شقة في الدور الثالث في عمارة قديمة ضخمة.

أحمد: هل أنت متأكد أنها شقته؟

ليو: طبعًا!

وقفا لحظات ثم قال «أحمد»: هيَّا بنا ... هل معك سلاح؟

ليو: مسدس صغير!

أحمد: ربما نحتاجه ... فقد جئت بلا أسلحة تقريبًا!

وسارا بجوار المنازل حتى وصلا إلى العمارة، ودخلا ...

وقال «أحمد»: سنصعد على السلالم ...

صعدا بسرعة إلى الشقة ... وتوقف «أحمد» أمام باب الشقة يُنصت ... ولكنه لم يسمع شيئًا بالداخل، فأخرج من جيبه أداة رفيعة أدارها في قفل الباب فانفتح، وأشار إلى «ليو» أن ينتظره، وأخذ منه المسدس ودخل ... كانت الشقة في حالة فوضى كاملة ... وكان واضحًا أن شخصًا أو أشخاصًا قد قاموا بتفتيش الشقة، واستدعى «أحمد» «ليو»، وأخذا يفتِّشان الشقة مرة أخرى ...

كان «أحمد» قد تلقى تدريبًا خاصًّا على تفتيش الشقق؛ فترك «ليو» يقلب في الأشياء بينما وقف ينظر حوله في تأمل عميق ... فهو يضع نفسه مكان «كوان يو» ... لو أن شيئًا هامًّا يريد أن يخفيه في هذه الشقة ... فأين يخفيه؟ وإذا كان عند «كوان» جهاز لاسلكي ... ولا بد أن عنده جهازًا لاسلكيًّا ... فأين يضعه؟

اتجه إلى المطبخ ... فبين الأدوات المنزلية العديدة ... وفي الثلاجات والبوتاجازات يمكن إخفاء جهاز اللاسلكي ... وقد أدرك أن مَن فتَّش المنزل لم يكن مُدرَّبًا على التفتيش؛ فقد كان المطبخ مُنظَّمًا ... ووقف «أحمد» في منتصف المطبخ وأخذ يتلفت حوله ... ثم نظر إلى الأواني الموضوعة على الأرفف، واختار من بينها آنية معدنية مما تُستخدم في المطبخ تحت ضغط عالٍ (برستو) ومد يده فأنزلها، ثم نظر إلى العداد الموجود لحساب ضغط البخار ثم فتح الغطاء، ثم نظر في الآنية ... كان واضحًا أن قاعها مرتفع بمسافة خمسة سنتيمترات على الأقل ... وعرف على الفور أنه أصاب في استنتاجه ... ثم إن هذا النوع من أجهزة الاتصال قد تلقوا عليه تدريبات في المنظمة ... وهكذا أدار عداد ضغط البخار، وأخذ قاع الآنية يرتفع تدريجيًّا حتى خرج من مكانه ... وفي التجويف الذي تركه ... كانت هناك قصاصة ورق عليها بضعة سطور ...

«إنني أتوقع أن يحدث لي شيء بين لحظة وأخرى، وإنني متأكد أن زملائي الشياطين الـ «١٣» سوف يصلون في وقت مناسب.

إن عصابة «التاجالوجا» تسيطر على هذه المنطقة بالكامل، ورأس العصابة هو في الأغلب «موريس لانو»، وأقول «الأغلب» لأنني لست متأكدًا ... ولكن الشواهد كلها تقول إن

«لانو»، وهو نائب الحاكم في المدينة، هو الموجِّه الحقيقي للنشاط السري للعصابات في هذه المنطقة ... وإنني أجمع الأدلة على حقيقة نشاطه لأقدمها للسلطات هنا ... فمن الصعب أن أتغلب عليه وحدي ...

أكتب هذه السطور بسرعة، لأنني سأغادر المكان، فقد عرفَتْه «التاجالوجا».»

أعاد «أحمد» الآنية إلى حالتها العادية، ووضع الورقة في جيبه ثم خرج إلى الصالة ... كان «ليو» ما زال يبحث، فقال له «أحمد»: لا تبحث أكثر مما فعلت!

ليو: هل عثرتَ على شيء؟

أحمد: نعم ... هل تعرف «موريس لانو»؟

ليو: طبعًا ... إنه شخصية مشهورة جدًّا في الفلبين ... فهو نائب الحاكم في «باتنجاس» وهو رجل مشهور بحب الخير.

ابتسم «أحمد» وهو يقول: حب الخير؟

ليو: نعم ... فهو يتبرع لكل المشاريع الخيرية التي تتم في «باتنجاس» ... وفي غيرها من مدن الفلبين.

أحمد: هيا بنا.

ليو: ماذا ستفعل؟

أحمد: سنعود إلى اللنش ... وهناك سنفكر فيما سنفعل.

نزلا بعد أن أغلقا باب الشقة وتركاها مضاءة ... وسارا إلى الشاطئ ... ولكن ... كانت في انتظارهما مفاجأة ضخمة ... لقد اختفى اللنش ...

وأخذا ينظران إلى أضواء القمر وهي تتسلل على مياه المحيط ...

وقال «أحمد»: لعلك لا تذكر المكان الذي رسَوْنا فيه!

ليو: إنني لا يمكن أن أخطئ!

أحمد: إن كارثة على وشك الحدوث، ويجب ...

ولكن قبل أن يتم جملته ظهر الولد الصغير «أوزي» يجري بين الرمال ...

صاح «أوزي»: أين أنتما؟

أحمد: أين بقية الزملاء؟

أوزي: لقد فوجئنا بهجوم من زورق مُسلَّح كبير ... وقد ألقيت بنفسي في الماء حتى أخبركما بما حدث.

«لانو» ينصب الفخ!

كان أحد مقاهي الشاطئ قد فتح أبوابه في تلك الساعة المبكرة من الصباح، فقال «ليو»: هيا بنا نتناول طعام الإفطار ثم نفكر فيما سنفعله ... إننا لا نستطيع البحث في المحيط كله عن اللنش ... وعن المطاردين.

كان أقرب مقهى هو مقهى «سمكة القرش» وكان نموذجًا لمقاهي الجنوب ... مبنيٌّ من الخشب، وتمتد أمامه حديقة تفوح رائحة الأزهار الاستوائية منها ... وأحسَّ «أحمد» (رغم الظروف) أنه سعيد ... وتناول إفطاره بشهية، وشرب الشاي ... وهو يفكر في الساعات القادمة، ولكن تفكيره لم يستمر طويلًا ... فقد ظهر «أوزي» الصغير عند الشاطئ مرة أخرى.

وقال «أحمد»: «ليو» ... انظر ... إن «أوزي» يقف عند إحدى الأشجار!

ليو: نعم ... إنني أراه، ابقَ أنت مكانك وسأذهب إليه.

أسرع «ليو» في اتجاه «أوزي»، وكان الولد الصغير يقف مرتعدًا من ريح الصباح الباردة، فقد كانت ملابسه مُبلَّلة بالمياه ...

قال «أوزي»: لقد هاجمونا بعد رحيلكما بقليل!

ليو: مَن هم؟

أوزي: رجال السواحل ... خفر السواحل!

ليو: هل ذهبوا بكم إلى قسم البوليس؟

أوزي: لا أعرف، لقد استطعت أن ألقي بنفسي في المياه وأهرب.

ليو: وكيف عرفت مكاننا؟

أوزي: لقد ذهبت إلى مكان رسو اللنش، ثم سرت على الرمال ... أقتفي آثار أقدامكما على الرمال!

ليو: مدهش ... إنك ولد ذكي يا «أوزي» ... هل تعرف كيف تعود إلى المكان الذي أسروا فيه اللنش؟

أوزي: ليس بالضبط ... ولكنه في منطقة الأحراش الشمالية، حيث تكثر الغابات على الشاطئ!

ليو: انتظرني هنا.

عاد «ليو» إلى «أحمد» وروى له ما حدث، واتفقا على استئجار سيارة، وأسرع «ليو» ليقوم بهذه المهمة، بينما أخذ «أحمد» يبحث عن محل ملابس يفتح أبوابه في هذه الساعة المبكرة ليشتري ملابس لـ «أوزي»، ولحسن الحظ وجد محلًّا صغيرًا يسكن صاحبه فوقه، وكان قد نزل لفتح المحل، فطلب منه بعض الملابس سريعًا، ودفع ثمنها، ثم أسرع إلى الشاطئ.

كان «أوزي» يرتجف من البرد تحت شجرة، محاولًا الاحتماء بها من الهواء البارد، والأنظار، ولم يكد يرى «أحمد» حتى قفز من مكانه ... وسلمه «أحمد» الثياب قائلًا: غيِّر ثيابك، وهيَّا لتتناول طعام الإفطار ...

في دقائق قليلة بدَّل «أوزي» ملابسه الرثة المبللة بملابس جديدة دافئة، وكان يبتسم وهو يسير بجوار «أحمد» سعيدًا إلى المقهى ... وبينما كان الولد الصغير يتناول إفطاره، كان «أحمد» يحصل منه على المعلومات الضرورية ... ومن فمه المحشو بالطعام كان يتحدث قائلًا: لقد حاول صديقاك المقاومة ... ولكن المدافع الرشاشة التي كانت تطل علينا من الزورق المسلح جعلت المقاومة مستحيلة!

أحمد: هل أنت متأكد أنه زورق حكومي من خفر السواحل؟

أوزي: طبعًا ... فقد كانوا يرتدون الملابس الرسمية!

أحمد: وماذا طلبوا منكم؟

أوزي: لم يطلبوا شيئًا سوى الاستسلام، وقالوا في مكبر الصوت إن أي محاولة للإفلات ستنتهي بتدمير اللنش.

أحمد: وماذا بعد ذلك؟!

أوزي: نزل خمسة رجال مسلحين بالمدافع الرشاشة، ووضعونا جميعًا في غرفة الصالون، كنت أجلس بجوار نافذة مفتوحة ... وفكرت في الهرب، ولكنني قررت أن أعرف أولًا إلى أين سيذهبون بنا.

أحمد: إنك ولد شجاع حقًّا يا «أوزي»!

بعد قليل، ظهر «ليو» قادمًا في سيارة من طراز «هوندا»، وكان «أوزي» قد انتهي من طعامه، ثم قفز الاثنان إلى السيارة وانطلق «ليو» مسرعًا.

كان طريق الكورنيش ما زال خاليًا في هذه الساعة المبكرة من الصباح، فانطلقت السيارة مسرعة ... وكان «ليو» يعرف منطقة الأحراش في شمال المدينة فاتجه إليها رأسًا ...

وعلى جانب الطريق، شاهد «أحمد» أحد باعة الصحف، فطلب من «ليو» التوقف عنده، وطلب من «أوزي» أن يشتري صحف الصباح كلها ... كان يريد البحث عن أخبار التحقيقات التي تُجريها السلطات حول مصرع «كوان يو» ... وتناول «أحمد» الجرائد الإنجليزية وسأل «أوزي» هل تعرف القراءة؟

رد «أوزي»: نعم يا سيدي!

أحمد: إذن، ابحث في الجرائد المحلية عن أية أخبار خاصة بالتحقيق في مصرع «كوان».

بينما أخذ «أحمد» يقرأ باهتمامٍ الحوادثَ الداخلية ... فجأة وجد صورة «كوان» في زاوية من إحدى الصفحات الداخلية ... وبدأ يقرأ ما كُتِب عنه ...

انتهاء تشريح جثة «كوان يو» ...

انتهي الطبيب الشرعي من تشريح جثة «كوان يو» التي عُثر عليها في أحد الأنهار قرب «باتنجاس»، وأشار تقرير الطبيب الشرعي إلى أن «كوان» مات نتيجة إطلاق الرصاص عليه من قرب، حيث أصابته الرصاصات في رأسه وصدره، فقضت عليه في الحال، ثم أُلقيَت جثته في الماء ... وحتى الآن لم يتقدم أحد لاستلام الجثة، ويبدو أن القتيل ليس له أقارب ... وصرح «موريس لانو» نائب الحاكم بأن جثة «كوان» ستظل أسبوعًا آخر قبل دفنها ... وأنه يرجو ممَّن يهمه الأمر الاتصال به لتسهيل تسليم الجثة إليه ...

وطوى «أحمد» الصحيفة، واستغرق في تفكير عميق، فالمعلومات التي تركها «كوان» أن «موريس لانو» نائب الحاكم، هو زعيم عصابة «التاجالوجا» المخيفة التي تسيطر على تجارة المخدرات في المنطقة ... ومن الواضح أنَّ تدخُّله في قضية «كوان» ومصرعه بهذه الصورة القصد منه معرفة مَن هم خلف «كوان»، وأي شخص سيتقدم لتسلُّم جثته سيكون موضع متابعة.

ومضت السيارة في طريقها، واقتربت من منطقة الأحراش، وظهرت سيارة في المرآة الجانبية؛ أخذت تقترب تدريجيًّا من سيارتهم ... كانت من طراز «جاجوار» ... وهي سيارة نادرة في هذه البلاد ...

اقتربت «الجاجوار» الزرقاء حتى أصبحت بجوارهم ... وشاهد «أحمد» ثلاثة رجال، كان أحدهم (الذي يجلس بجوار السائق) يبدو كالغوريلا ... وقد التفت إليهم يتأملهم في إمعان ...

وأحنى «ليو» رأسه قليلًا وهو يقول: إنه أحد رجال العصابة!

ونظر «أحمد» إلى الكرسي الخلفي، وشاهد الرجل الثالث، وتذكره ... وكان أحد الرجال الذين هاجموا «دانج» في المقهى ...

قال «ليو»: إن السيارة ذاهبة إلى مقر العصابة، ومن سوء الحظ أن ترانا!

أحمد: تباطَأْ قليلًا ... ودعنا نرى ماذا سيفعلون؟

«مامبا»!

سارت السيارة «الجاجوار» الزرقاء بجوار «المازدا» قليلًا، ثم انطلقت مسرعة، وسرعان ما غابت عن الأنظار.

وقال «ليو»: إنهم سينتظروننا.

أحمد: إنهم لن ينتظروا!

ليو: ماذا تعني؟

أحمد: أعني أنهم سيرسلون سيارة أو أكثر لمطاردتنا، إنهم لن يقتلونا، فقط سيحاولون أَسْرنا!

ليو: وماذا ترى؟

أحمد: سننتظر ماذا سيفعلون، ولكن سِرْ على مهل!

كان «أحمد» يفكر: إنه بلا سلاح، ومسدس «ليو» لا يصلح كسلاح للقتال مع عصابة بهذا الحجم، وكان تفكيره في المدافع الرشاشة التي تركوها في الفندق، فلو كان معه واحد لكانت له حسابات أخرى ... فماذا يفعلون؟

هل يقع في الأسر هو الآخر أم يحاول إنقاذ «رشيد» و«عثمان» أم يعود لإحضار السلاح؟ ولكن السلاح الآن في «مانيلا».

وسأل «أحمد» «ليو»: ما هي المدة التي نستغرقها في الذهاب إلى «مانيلا» والعودة بالسيارة؟

ردَّ «ليو»: ثلاث ساعات تقريبًا للذهاب، ومثلها للعودة!

فكَّر «أحمد» لحظات ثم قال: إذن، هيَّا بنا.

وأخذ «ليو» ينظر خلفه حتى يرى السيارات القادمة، وفي هذه اللحظة ظهرت سيارة قديمة تسير على مهل، قادمة من طريق جانبي مقابل «المازدا» بالضبط، واضطُرَّ «ليو»

للانتظار حتى مرت السيارة، ثم استدار ومضى في طريقه عائدًا، وأصبح بجوار السيارة القديمة، وفجأة امتدت يد من السيارة القديمة وألقت بشيءٍ في داخل سيارتهم ثم أسرعت مبتعدة ...

صاح «ليو»: قنبلة!

أحمد: ليست قنبلة!

وصرخ «أوزي»: ثعبان «المامبا»!

وأخذ الولد الصغير يصرخ، وارتبكت عجلة القيادة في يدي «ليو» وأخذت السيارة تترنح، وحاول «أوزي» أن يفتح باب السيارة ويقفز، لولا أن «أحمد» صاح: لا تخافا!

وكان الثعبان مصابًا بالذعر هو الآخر، وقد تسلل إلى المقعد الخلفي؛ وتلوَّى فوقه رافعًا رأسه، وقد انزوى «أوزي» في الجانب الآخر من المقعد، وهو يرتجف، فثعبان «المامبا» هو أضخم الثعابين في الدنيا، وأشدها فتكًا وشراسة.

كان «أحمد» كواحد من الشياطين الـ «١٣» قد تمرن في المقر السري على مثل هذه المواقف ... ومع مختلف الحيوانات؛ لهذا فقد أخذ يشير بيديه في شكل دائري أمام وجه الثعبان حتى يلفت نظره إليه، وهو في نفس الوقت يحدِّث «ليو» قائلًا: اهدأ، واستمر في مطاردة السيارة القديمة؛ فسوف نرد لها الهدية!

وفجأة انقض «أحمد» على الثعبان، وأمسكه من تحت رأسه مباشرة ... كان الثعبان قويًّا، ولو استطاع الالتفاف حول ذراع «أحمد» أو رقبته لقضى عليه ... ولكن قبضة «أحمد» الحديدية لم تترك للثعبان حرية الحركة ...

وصاح «أحمد»: «ليو» ... اقترب من العربة.

وأسرع «ليو» حتى حاذى العربة القديمة، واستجمع «أحمد» كل قوته ثم جذب الثعبان، وقذفه في داخل السيارة الأخرى صائحًا: هديتكم رُدَّت إليكم!

سمعوا الصراخ المنبعث من السيارة الثانية، فقد أطبق الثعبان على قائدها، وشاهدوا السيارة وهي تترنح على جانب الطريق، ثم تهوي من الارتفاع الشاهق، وصوت سقوطها يدوي في هدوء الصباح ... والشاطئ ...

قال «ليو» مبتسمًا: إنك فعلًا شيطان ... فلم أكن أتصور أن في إمكانك أن تفعل هذا!

أحمد: كل شيء يأتي بالتمرين! والآن، انطلق سريعًا إلى «مانيلا»؛ نريد أن نعود مع الظلام!

ليو: أمامنا متسع من الوقت.

قال «أوزي» من المقعد الخلفي: إنك يا سيدي أستاذ!

ومد «أحمد» يده، وأخذ يربت على شعر «أوزي» الجميل وهو يقول: سوف تصبح أستاذًا أفضل.

أوزي: إنني أتمنى الانضمام إليكم.

أحمد: عندما تنتهي من دراستك، وتصبح رجلًا يمكن الاعتماد عليك سوف ألحقك بالشياطين.

أوزي: أليس ذلك ممكنًا الآن يا سيدي؟

أحمد: ليس هناك شيء أهم من أن تكمل دراستك، وفي أثناء الدراسة يمكن أن نوكل إليك بعض الأعمال البسيطة.

أخذ «ليو» يزيد من سرعة السيارة شيئًا فشيئًا، وسرعان ما غادروا «باتنجاس» وبدءوا الطريق الواسع إلى «مانيلا» ... كان الجو مشرقًا، وأدار «ليو» جهاز الراديو ... ولم تمضِ نصف ساعة حتى بدأت الإذاعة في «مانيلا» تذيع نشرة الأخبار ... وكم كانت دهشة الثلاثة عندما سمعوا نشرة رجال البوليس:

مطلوب القبض على ركاب سيارة «مازدا» بيضاء، بها ثلاثة أشخاص تسببوا في مصرع شخصين في سيارة على طريق الشاطئ في «باتنجاس»!

أدرك «أحمد» أن «موريس لانو» يطاردهم بلا رحمة، وأنه استطاع أن يذيع هذا الخبر ضمن الإذاعة المحلية حتى تتم مطاردة السيارة «المازدا» من كل إنسان ...

قال «ليو»: إننا في مأزق!

أحمد: إن عدونا رجلٌ مهمٌّ.

ليو: من؟

أحمد: «موريس لانو».

ليو: غير معقول ... إنه رجل مشهور بالطيبة والنظافة!

أحمد: إنني متأكد أنه زعيم عصابة «التاجالوجا»؛ لأن العصابة لا تستطيع إذاعة هذا الخبر وبهذه السرعة.

ليو: ماذا نفعل؟

أحمد: نستبدل السيارة، إذا اقتربت من أحد الأماكن التي تكثر فيها السيارات الواقفة، دعنا نبحث عن سيارة ونأخذها ونترك هذه مكانها!

ليو: هذا هو الحل الوحيد!

ومضت نحو نصف ساعة، وأقبلوا على أحد الموتيلات المنتشرة على الطريق، وطلب «أحمد» من «ليو» أن يدخل إلى أحد الطرق الفرعية، ثم توقفوا، ودفعوا السيارة إلى داخل أحد الأحراش الكثيفة؛ حيث يصعب العثور عليها، وساروا على أقدامهم حتى وصلوا إلى الموتيل.

قال «أحمد»: راقِبْ أنت و«أوزي» الطريق، وسوف أبحث عن سيارة مناسبة!

سار «أحمد» بجوار السيارات ينظر إلى التابلوه ليجد سيارة ترك صاحبها مفتاحها فيها؛ فوجد ثلاث سيارات ... واختار سيارة من طراز «شيفورليه نوفا» ونظر حوله لحظات، وشاهد «ليو» يشير إليه بأن كل شيء على ما يرام.

قفز «أحمد» إلى السيارة وأدارها ثم التقط «ليو» و«أوزي» بسرعة، ثم انطلق كالصاروخ، كان يفكِّر طوال الوقت في الساعات القادمة، وفي صديقيه «عثمان» و«رشيد» وأين هما الآن.

بعد نحو ثلاث ساعات ونصف أشرفوا على مدينة «مانيلا»، وبدأت الطرق تزدحم بالسيارات ... وقال «أحمد»: إنني أفضِّل الانتظار حتى هبوط الظلام ... ولكن أمامنا مشكلة، فأين نختفي هذه المرة؟

ردَّ «أوزي» على الفور: عندنا.

أحمد: أين تسكن؟

أوزي: في مكان قريب، إنه إحدى العشش العائمة على النهر ... ومن السهل أن نبقى فيه دون خوف من أن يرانا أحد ... فلن يتوقعوا ذهابنا إلى هذا المكان.

وتركوا السيارة على جانب الطريق، ومشوا إلى شاطئ النهر حيث أشار «أوزي» إلى عشة متداعية ... وابتسم «أحمد» وهو يربت على رأس المغامر الصغير.

في الوقت المناسب!

كانت العشة التي يسكن فيها «أوزي» من القش والصفيح، ولكنها كانت نظيفة، واستقبلتهم الأم وهي متلهفة على صغيرها ... الذي لم يكن لها غيره مع ابنة أكبر منه ... وكان «أوزي» هو المسئول عن هذه الأسرة الصغيرة، ينفق عليها من بيع الورد، ومن بعض الخدمات الصغيرة التي يؤديها للسياح.

وبعد خناقة صغيرة بين الأم وابنها، قدَّم لها ضيفيه، ودَعَتْهما للدخول إلى العشة، وجلسا في غرفة صغيرة بها فراش وبعض الكراسي ... وبعد أن شرب «ليو» و«أحمد» الشاي، طلبا تركهما لحاجتهما للراحة.

استسلم «أحمد» و«ليو» للنوم ... وعندما استيقظا كانت الشمس قد مالت للمغيب، وأعدت لهما أم «أوزي» طعامًا شهيًّا من سمك النهر ... وطلب «أحمد» من «أوزي» أن يبقى مع أسرته الصغيرة، ولكنه رفض، وأصرَّ على الذهاب معهما واستكمال المغامرة ... ووضع «أحمد» على المائدة مبلغًا من «البيزو» وهي العملة الفلبينية.

خرج الثلاثة إلى ظلام الشارع الصغير ... وبعد مسيرة قصيرة وصلوا إلى أضواء مدينة «مانيلا» الصاخبة ...

وقال «أحمد»: «ليو» ... اذهب أنت و«أوزي» واستأجرا سيارة، وسنلتقي بعد ساعة قرب منزل «أوزي»!

ليو: خذ حذرك!

أحمد: طبعًا ... أعطني مسدسك.

وأخذ «أحمد» المسدس ثم اتجه إلى الفندق ... وعندما دخل إلى صالة الفندق تلفت حوله ... كانت الأمور تسير سيرها المعتاد ... ولكن «أحمد» لم يكن يغتر بمثل هذا الهدوء

... طلب مفتاح غرفته، ولاحظ على الفور أن موظف الاستقبال بدا مضطربًا قليلًا وهو يسلمه المفتاح.

صعد «أحمد» وهو يفكر ... ماذا ينتظره؟ وعندما توقف أمام الباب يفتحه، نظر حوله ... لم يكن هناك أحد في الدهليز ... ولكن بدا له أن ثمة بابًا يُغلَق في هدوء ... وضع المفتاح في الباب ثم دفع الباب دون أن يدخل، ثم أخرج مسدسه ونام على الأرض وزحف داخلًا ... وعلى الفور سمع ثلاث رصاصات تئز خارجة من الغرفة ... وحدَّد مصدر الإطلاق، وأطلق رصاصة واحدة وسمع صوت أنين ... وجسم يسقط على الأرض ... انتفض واقفًا بسرعة، وأغلق الباب وأضاء النور ... كان ثمة رجل مُمَّد على الأرض وبجواره حقيبة ... وبيده مسدس ضخم كاتم للصوت ... وعرف «أحمد» أنه وصل في الوقت المناسب ... فقد كانت الحقيبة مثقلة بالأسلحة الخاصة بالشياطين ...

لم تَضِع دقيقةٌ واحدة ... حمل الحقيبة بسرعة، وبيده المسدس الصامت ... كان يعرف أن الطلقة التي أطلقها، سوف تثير الارتياب ... وسمع في هذه اللحظة بابًا يُفتَح، وظهر رجل ... لم يتردد «أحمد» وأطلق عليه طلقة صامتة ... ثم أسرع يجري إلى نهاية الدهليز ... وفتح بابًا جانبيًّا ... ثم أسرع إلى سلم الخدم الحديدي وأخذ يهبط مسرعًا ...

وصل إلى الشارع، وهو يسمع صوت سيارة البوليس، ومن المؤكد أن موظفي الفندق والنزلاء سمعوا الطلقة واستدعوا البوليس ...

عَبَرَ الشارع؛ واختفى في أول طريق قابله ... وسار بنشاط حتى وصل إلى نهاية الشارع ثم شاهد سيارة تاكسي قريبة منه ... وقفز إليها ... وقال: إلى شاطئ النهر من فضلك.

نظر إلى ساعته ... كانت قد انقضت عشرون دقيقة فقط منذ أن غادر «ليو» و«أوزي»، وما زال أمامه مُتَّسَع من الوقت ... وبعد نحو عشر دقائق وصل إلى أول الشاطئ ... ونزل، واختار مكانًا مظلمًا جلس فيه ... ثم فتح الحقيبة ... وأحسَّ بالرضا؛ لأن الحقيبة كانت تحوي جوازات السفر الخاصة بهم، والمدافع الرشاشة الصغيرة، وبعض حاجياتهم المهمة ... وبينها قنابل صغيرة ولكنها شديدة الانفجار ...

جلس صامتًا يفكر لحظات ... ثم قام ومشى على قدميه حتى وصل إلى قرب منزل «أوزي»، وهناك شاهد سيارة من طراز مرسيدس، سوداء اللون، وشاهد «أوزي» يقف بجوارها.

أسرع إليهما ... وعندما شاهده «ليو» قال: كانوا في انتظارك.

أحمد: نعم ... لقد وصلت في الوقت المناسب.

ليو: كنت أتوقع ذلك.

أحمد: وأنا أيضًا.

والتفت «أحمد» إلى «أوزي» وقال: والآن أيها المغامر الصغير ... عُد إلى منزلك فأمامنا عمل شاق.

رد «أوزي»: إنني أريد أن آتي معكما.

أحمد: ولكن يا «أوزي» ... والدتك!

أوزي: لقد شاهدتك وأنت تضع كمية البيزو على المائدة، وقد أحضرت لك النقود.

صاحَ «أحمد» غاضبًا: كيف تفعل ذلك، إنني أدفع لك قيمة العمل الذي تقوم به معنا!

أوزي: إنني أعمل معكما كصديق!

أحمد: لا داعي لهذا الهراء ... إما أن تعيد النقود إلى والدتك، أو لا تأتي معنا.

أوزي: ولكن ...

أحمد: ليس هناك وقت الآن لمثل هذا الحوار ... اذهب فورًا وسوف ننتظرك.

توقفت السيارة قرب منزل «أوزي»، ونزل مسرعًا، وغاب دقائق ثم عاد وقفز إلى السيارة وهو يقول: والدتي تشكرك جدًّا ... وهي تدعوك إلى العشاء.

أحمد: إننا لا نعرف متى سنعود!

وانطلقت السيارة الضخمة، تشق طريقها عائدة إلى «باتنجاس» ... وقال «ليو»: هل في ذهنك خطة معينة؟

أحمد: ليس بعد ... ولكني سأفكر.

اختفت أضواء «مانيلا» وبدأ الظلام ثقيلًا ومخيفًا، و«ليو» يقود السيارة ببراعة، ومضت ساعتان، وأشرفوا على مدينة «باتنجاس» ...

قال «أحمد»: إنني أتوقع متاعب قبل الوصول إلى مقر العصابة ... لهذا فإنني أفضل أن نترك السيارة بعيدًا عن المكان.

ليو: لا تخش شيئًا، إن المنطقة التي وصفها «أوزي» أعرفها جيدًا، إنها منطقة أحراش وغابات، وسوف نتمكن من الاختفاء عن أعينهم.

وبعد ساعة أخرى كانوا يقتربون من منطقة الأحراش ... وقال «أحمد»: «أوزي»، عليك أن ترشدنا للطريق.

أوزي: هناك مبنى كالمخازن ...

ليو: إنني أعرف هذا المكان، لقد كان مَخْزنًا للماشية!

أوزي: إنه ملاصق لمقر العصابة، حيث يقف اللنش.

ليو: عرفت ... سوف نقترب من المكان بقدر ما نستطيع.

أحمد: «أوزي» ... هل أستطيع أن أعتمد عليك!

أوزي: طبعًا يا سيدي.

«أحمد»: سأعطيك ثلاث قنابل صغيرة، وسأعلمك كيف تقذفها، ولأنك تعرف المكان من قبل؛ فإنني أطلب منك أن تقذفها في أماكن متفرقة، بحيث تظن العصابة أن هجومًا يقع عليها من ثلاث جهات ... وبعد القنبلة الثالثة سوف نهجم.

وأخذ «أحمد» يشرح للولد الذكي كيف ينزع فتيل القنبلة، ثم يَعدُّ من واحد إلى عشرة ويقذفها، توقفت السيارة داخل أحد الأحراش ... وحمل «أوزي» القنابل الثلاث ... ثم تسرب بهدوء تحت جنح الظلام واختفى، بينما أخذ «أحمد» يَعدُّ المدافع الرشاشة.

سجين الغرفة الحديدية!

صعد «ليو» و«أحمد» على أحد التلال القريبة من مقر العصابة، واستطاعا أن يشاهدا مرسى اللنش ... وأماكن السيارات ... ومباني السكن ... كانت أمامهما خريطة كاملة تحددها الأضواء المنتشرة في المكان ...

ومضت عشر دقائق، ثم سمعوا صوت انفجار القنبلة الأولى التي قذفها «أوزي» ... ثم مضت لحظات وانفجرت القنبلة الثانية ... ولحظات أخرى وانفجرت القنبلة الثالثة ... كانت القنابل الثلاث قد صنعت شبه مثلث من الانفجارات ... شُلَّ المكان كله، وقال «أحمد»: يا له من ولد مغامر!

وأسرعا يجريان ... كان طبيعيًّا أن يهرب رجال العصابة من أماكن الانفجارات إلى الأماكن الآمنة ... وهاجم «أحمد» و«ليو» هذه الأماكن، فقد شاهد «أحمد» على ضوء النيران التي اشتعلت في المكان، رجلًا يجري ... وحوله مجموعة من الرجال ... كان واضحًا أنه الزعيم، وعندما أضاءت النيران وجهه صاحَ «ليو»: غير معقول إنه «موريس لانو» نائب الحاكم؛ ما الذي أتى به إلى هذا المكان؟

أحمد: لأنه زعيم العصابة!

وانطلقت الرشاشات ... كانت مهمة «أحمد» الرئيسية هي إنقاذ «عثمان» و«رشيد» ... وكم كانت دهشته عندما اتجه إلى الشاطئ ... فقد رأى شخصين يتبادلان الضربات في وحشية ... وعندما اقترب منهما ... عرف على الفور أن أحدهما «رشيد» ... واشتد ذهوله عندما شاهد «عثمان» يقفز على رجل آخر ... كيف استطاعا الهرب من الأسر؟

لم يكن هناك وقتٌ للأسئلة والأجوبة ... لقد انهمك الثلاثة في ضرب رجال العصابة بعد أن سلم «أحمد» إلى «عثمان» و«رشيد» كل واحد منهما مدفعه الرشاش.

كانت المهمة الثانية «لأحمد» هي البحث في الوثائق الخاصة بالعصابة عن المعلومات التي حصلوا عليها من «كوان يو» ... فألقى تعليمات سريعة.

رشيد: عليك بتأمين الطريق إلى الأحراش الخلفية ... هناك سيارة في انتظارنا من طراز «مرسيدس».

وظهر «ليو» في هذه اللحظة، فقال له «أحمد»: تعال معي ...

وصاح في «عثمان»: موعدنا بعد نصف ساعة عند الأحراش الخلفية ... وابحث عن الولد الصغير «أوزي».

وسمعوا صوتًا من خلفهم يقول: إنني هنا يا سيدي.

أحمد: اذهب يا «أوزي» عند السيارة وانتظر هناك.

وأسرع «أحمد» و«ليو» يقتحمان المكان الذي كانت النيران قد أحاطته من كل جانب ... ولكن قبل أن يصلا إلى الباب الرئيسي ظهر «موريس لانو» مرة أخرى ... كان يحمل حقيبة ويحميه رجلان، وأحكم «أحمد» و«ليو» التصويب، وأطلق كلٌّ منهما على أحد الرجلين طلقة من مسدسه، بينما قفز «لانو» جاريًا، وقفز «أحمد» خلفه واستطاع أن يلحق به ... وفي قفزة عالية، أصابه بقدمه إصابة مباشرة، سقط «لانو» على أثرها على ظهره، وارتطمت رأسه بصخرة، وأخذ «أحمد» الحقيبة وحاول فتحها ولكنه لم يتمكن ...

أسرع «أحمد» إلى داخل المبنى الرئيسي، وأخذ يجري بين النيران والدخان محاولًا تحديد المكان الذي به مكتب «لانو» ... وفي هذه اللحظة سمع سعال رجل في مكان قريب ... وأسرع يحدد الاتجاه، ثم استعد لإطلاق مدفعه ... ولا يدري «أحمد» لماذا لم يطلق المدفع على الفور ... وإنما اقترب من مكان الرجل ...

كان السعال متصلًا وعنيفًا ... والرجل لا يبرح مكانه ... وفكَّر «أحمد»، إنه لا بد مصاب أو جريح ... واقترب من الغرفة ... ولاحظ أن بابها من الحديد ... وبها نافذة من القضبان ... إذن، فهو ليس جريحًا ... بل هو سجين ... وحاول «أحمد» فتح الباب فلم يستطع ... ولم يكن هناك وقت للبحث عن المفاتيح.

فصاح في الرجل: ابتعد عن الباب.

ثم أطلق دفعة من مدفعه الرشاش على قفل الباب ودفعه بيده وأضاء النور.

كان المشهد الذي رآه «أحمد» من أكثر المشاهد التي قابلها في حياته غرابة وإثارة ... فالرجل الذي كان يقف في طرف الغرفة لم يكن إلا «كوان يو» ... الرجل الذي جاء لتشييع جنازته ...

وصاح «أحمد»: «كوان يو»؟!

رد الرجل: نعم ... مَن أنت؟

أحمد: إنني أحد رجال رقم «صفر»!

كوان يو: هل هذا ممكن؟

أحمد: وهل من الممكن أن آتي من آخر الدنيا لتشييع جنازتك فأجدك حيًّا؟

كوان يو: مَن الذي قال إنني ميت؟

أحمد: لقد نشرت الجرائد ... أنه عُثِر عليك مقتولًا، وقد عُثِر على جثتك — معذرة — في نهر قرب «باتنجاس»!

كوان: لقد كانت لعبة من العصابة لجذبكم إلى هنا والقضاء عليكم!

أحمد: إذن، هيَّا بنا بسرعة، إن المكان كله يحترق!

وأسرعا يغادران الغرفة الحديدية ... وكانت النيران والدخان قد حولت المكان إلى جحيم ... ولكنهما استطاعا شق طريقهما، حتى وصلا إلى الهواء الطلق.

اتجها إلى الأحراش ... ولكن يبدو أن العصابة قد أرسلت بعض رجالها إلى المكان ... فقد كانت هناك طلقات تأتي من مكان السيارة المرسيدس، وطلقات تأتي من خلف مجموعة من الأشجار.

وسلم «أحمد» الحقيبة الثقيلة إلى «كوان يو» ثم ارتكز على ركبتيه، وأطلق دفعات متصلة من مدفعه الرشاش على مجموعة الأشجار ... وسمع صراخًا ... ثم ساد الصمت.

قال «أحمد»: هيَّا بنا!

كوان يو: هل هناك أحد في انتظارك؟

أحمد: معي صديقان ... وصديق عزيز عليك، ساعَدَنا مساعدات مدهشة.

كوان: مَن هو؟

أحمد: ستراه الآن.

أسرعا حتى وصلا إلى السيارة المرسيدس، وأطلق «أحمد» نعيق البومة حتى لا يتعرضا للضرب، وسمعا الرد ...

وعندما اقترب من السيارة واتضحت شخصية «كوان» صاح «ليو»: شبح رجل ميت يتحرك!

قال «أحمد»: إنه ليس ميتًا!

وتقابل الصديقان وتعانقا بحماس ... وقال «أحمد»: أين «أوزي»؟

رد «أوزي»: إنني هنا يا سيدي!

كوان: مَن؟ بائع الأزهار الصغير؟

أوزي: في خدمتك يا سيدي!

أحمد: يجب أن تدفع له ألف «بيزو» ثمن خدماته ... إنه هو الذي بدأ الهجوم.

كوان: سأعيِّنُه بمرتب كبير في شركتي!

وقفز الجميع إلى السيارة التي انطلقت كالعاصفة، وقال «كوان»: في هذه الحقيبة أسرار العصابة كلها ... ولعل بها ثروتها أيضًا.

أحمد: إن رقم «صفر» يهمه أن يعلم ... هل بُحت لهم بشيء؟

كوان: طبعًا ... مجموعة رائعة من الأكاذيب!

وضحك الجميع ...

هنـــداوي